المحاضرة السابعة:

الصّـراع اللّغـــوي.. العوامل والنتائج

1. في مفهوم الصراع اللغوي:

لا تختلف اللغة عن بقية الكائنات الحيّة في مسيرة حياتها ومحطاتها بين الولادة والقوّة والضعف ثمّ الموت، وهي كائن اجتماعي تولد وتعيش في كنف المجتمع، ولا يمكن قيام المجتمع دونها، وهي قد تنفرد به كما قد تكون شريكة فيه للغة أو لغات أخرى؛ بحيث تتأثّران وتؤثّران في بعضهما، وهو ما ينتج ما يصطلح عليه بالصّراع اللغوي.

إنّها، أي اللغة، لا تخرج عن قانون البقاء، ولذلك تتصارع وتتنازع مع لغات أخرى سعيًا لتحقيق السّيطرة الغلبة، إذ قد تكتب الغلبة لإحدى اللغتين، ما يعني قضاءها على الأخرى، كما قد تتساويان وتتعايشان، فتحتفظ كلّ منهما بوجودها وخصائصها.

يقول ***علي عبد الواحد*** وافي: "من المقرّر أنّ أي احتكاك يحدث بين لغتين أو بين لهجتين – أيًا كان سبب هذا الاحتكاك، ومهما كانت درجته، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة – يؤدّي لا محالة إلى تأثّر كلّ منهما بالأخرى، وغني عن البيان أنّه من المتعذّر أن تظلّ لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى. ولذلك كانت كلّ لغة من لغات العالم عرضة للتطوّر المطرد عن هذا الطريق"[1]. فالتداخل الحاصل بين اللغات، وكلّ علاقات التأثير والتأثّر، وما ينتج عنها من دخيل وتطوّر لغوي ودلالي، وتغييرات صوتية ونحوية، إنّما هي في الحقيقة نتيجة حتمية للاحتكاك الحاصل بين اللغات. وبناء عليه، سنقول إنّه "أصبح من المسلّم به عند اللغويين أنّ احتكاك اللغات ضرورة تأريخية وهذا الاحتكاك يؤدّي إلى تداخلها إن قليلاً أو كثيرًا ويكادون يقطعون بأنّ التطوّر الدائم للغة من اللغات وهي في معزل عن كل احتكاك وتأثّر خارجي يعدّ أمرًا مثاليًا، لا يكاد يتحقّق؛ ذلك لأنّ الأثر البالغ الذي يقع على إحدى اللغات من لغات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًا في التطوّر اللغوي ويترتّب عليه نتائج بعيدة المدى إلى درجة أنّ بعض العلماء يذهبون إلى القول بأنّه لا توجد لغة متطوّرة لم تختلط بغيرها"[2].

---

[1] . علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، 1983، ص25.

[2]. حاتم صالح الضامن: علم اللغة، بيت الحكمة، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي..، 1989، ص 118.

وكإضافة لما سبق، يمكننا الحديث هنا عن تسمية الصّراع اللغوي أيضًا بـ: حرب اللغات/ *guerre des langues* وفق تصوّر ***لويس جان كالفي***، و"هي الصراع ما بين اللغات بشقيه الداخلي والخارجي أي في الشّق المتعلّق بالنظام الدّاخلي للغة وببنيتها وبتطوّرها، وفي الشّق الخارجي منها في علاقتها بغيرها. وهذه الحرب حرب بالمعنى المجازي حينًا، وحرب بالمعنى الحقيقي في أغلب الأحيان"[3]. وهو ما سيتّضح لنا من خلال العرض اللاحق لأهم العوامل المتحكمة في صناعة وتوجيه الصّراعات اللغوية.

2. العوامل المتحكّمة في الصراع اللّغوي :

ينشأ الصّراع اللّغوي عن عوامل كثيرة، منها الداخلية ومنها الخارجية[4]:

فأمّا الداخلية؛ فتتركّز في تعليم اللغات الأجنبية والتعليم بها، وهو ما يجعل منها، أي اللغات الأجنبية، منافسًا للغة الأم أو اللغات الوطنية والرسمية، إضافة إلى ما تفرضه متطلبات سوق العمل من حاجة للغات الأجنبية، وإلى ما تقدّمه قنوات الإعلام المختلفة من دعم للهجات المحلية والإقليمية على حساب اللغة الفصيحة.

وأمّا الخارجية؛ فتتمثّل في كلّ ما يمكن فرضه على اللغة المغلوبة من خلال عامل القوّة؛ الدينية والحضارية والعسكرية والعددية والسياسية والاقتصادية.

ورغم الأهمية الكبيرة للعوامل الداخلية في العصر الذي نعيشه، فإنّ أغلبية المراجع تركّز على العوامل الخارجية، فاعتبار قِدمها وأثرها البالغ في توجيه الصراعات اللغوية وصناعة نتائجها، ومنه المساهمة في تقرير السياسات اللغوية للدّول.

وفي ما يلي محاولة لعرض أهم هذه العوامل الخارجية مع التمثيل التاريخي لنتائجها.

1.2. عامل النزوح:

ويحدث بأن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله، ويكون إثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة. يقول ***ابن حزم الأندلسي*** في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام):

---

[3]. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص 395/394.

[4]. ينظر: ابراهيم بن علي الدبيان، الصراع اللغوي، مؤتمر علم اللغة الثالث: التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 17/16 / 1/ 1427هـ ، ص 4.

" إنّما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها، وفراغهم. وأمّا من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذّل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربّما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبُيور علمهم (..) وإنّ اللغة يسقط أكثرها بسقوط أهلها ودخول غيرهم عليهم في أماكنهم، أو تنقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم"[5].

وينتج عن هذه الحالة أحد الاحتمالين الآتيين[6]:

1. **التغلّب**: ويحدث بأن تنتصر إحدى اللّغتين على الأخرى، وتصبح اللغة السائدة بالمجتمع.
2. **التعايش**: ويحدث بأن تتساويا في القوّة، فتعجز إحداهما عن هزيمة الأخرى، فتتعايشان معًا.

ويتحكّم في هذه النتيجة أحد العاملين التاليين، أو هما معاً:

- التقدم الحضاري.
- التفوق العددي.

أ. في الاحتمال الأول: **(التغلّب)**

تتغلّب إحدى اللغتين على الأخرى فتصبح لغة جميع السكان، أصيلهم ودخيلهم، ويتم ذلك في حالتين:

الحالة الأولى:

أن يكون كلا الشعبين ضعيفًا حضاريًا، فإن تساويا في تخلّفهما الحضاري، فإنّ الغلبة ستكون للغة أكثرهما عددًا، سواء أكانت لغة الغالب أو المغلوب، لغة الأصيل أم لغة الدخيل، ذلك أنّه عندما ينعدم النوع يتحكّم الكم في مصير الأمور. ولا تحدث هذه النتيجة إلاّ إذا كانت اللغتان المتصارعتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين لغويتين متقاربتين.

مثال ذلك:

---

[5] . **ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 2008، ص32.**

[6] . **ينظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 91/82.**

عندما زحفت قبائل الأنجلو من أواسط أوربا إلى انجلترا لم تلبث لغتهم أن تغلبت على القبائل الكلتية للسكان الأصليين، بسبب أن عدد الكلتيين لم يكن شيئاً بجوار عدد الغزاة، كما أنّهما متساويان في تخلّفهما الحضاري، وينتميان إلى فصيلة اللغات الهندوأوروبية.

الحالة الثانية:

أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشدّ منه بأسًا وأوسع نفوذًا، ففي هذه الحالة يكتب النّصر للغته فتصبح لغة جميع السّكان، وإن قلّ عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب، ذلك أنّ التفوق الكيفي يكتسح أمامه أي تفوق كمي، على شريطة أن تدوم غلبته وقوته زمناً كافياً يمكن معه تحقيق نتيجة حاسمة للصراع اللغوي.

مثال ذلك:

فتوحات العرب في صدر الإسلام للشام والعراق ومصر يواكبها اكتساح اللغة العربية لجميع اللغات التي كانت سائدة في تلك البقاع ، فاكتسحت القبطية في مصر والبربرية في شمال أفريقيا والكوشية في الشرق..

ب. في الاحتمال الثاني: **(التعايش)**

وينتج في حالة عدم تغلّب إحدى اللغتين على الأخرى، ويحدث هذا فيما عدا الاحتمالين السابقين (كلاهما ضعيف حضاريًا/ أحدهما أقوى حضاريًا)، والأمثلة على ذلك كثيرة، ونذكر منها ما يلي:

– اللغة اللاتينية لم تقو على اللغة الإغريقية، مع أنّ الأولى كانت لغة الشعب الغالب، وذلك لأنّ الإغريق مع خضوعهم للرومان كانوا أعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأرقى لغة.

– اللغة اللاتينية لم تقو على التغلّب على لغات أهل بريطانيا العظمى، على الرّغم من فتح الرومان لبلادهم واحتلالهم إياها نحو 150 سنة، وعلى الرّغم من أنّ الشعب الغالب كان أرقى كثيرًا من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته، وذلك لأنّ الجالية الرومانية في الجزر البريطانية لم تكن شيئًا مذكورًا ولم تمتزج امتزاجًا كافيًا بأفراد الشعب المغلوب.

2.2. عامل التجاور:

ويحدث بأن يتجاور شعبان مختلفا اللّغة، وتتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادي والثقافي؛ حيث إنّ "ارتباط الجماعات الناطقة بروابط الحضارة أو التجارة، أو تنازعهما حضاريًا أو سياسيًا أو

دينيًا يرسم آثاره على اللغات، فالاحتكاك بين اللغات نتيجة لازمة للاحتكاك بين المجتمعات، وما يكتنفها من مقوّمات حضارية، واتجاهات فكرية، وأنشطة اجتماعية أو اقتصادية، ومن ثمّ يختلف ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط بين الشعبين الناطقين، وما يتاح لهما من فرص الاحتكاك المادي والثقافي، فكلّما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر، وكثرت فرص الاحتكاك نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي، ولذلك تبلغ هذه الحركة أقصى شدّتها حين يتجاور شعبان"[7].

وينتج عن هذا التجاور صراع يؤدي إلى واحدة من النتائج السابقة في العامل الأوّل[8]:

***أ. في الاحتمال الأوّل*: (التغلّب)**

ونقف فيه أمام حالتين هما:

الحالة الأولى:

إذا كانت نسبة النمو عند أحد الشعبين كبيرة لدرجة يشتدّ معها الضغط على حدود الشعب المجاور له، وتكثر الهجرات المؤقتة، عندها ستتغلّب لغة الشعب الكثيف سكانيًا على لغة المناطق المجاورة له، شريطة أن لا يكون أقلّ منها حضاريًا وثقافيًا وأدبيًا، ويتأكّد انتصاره إذا كان أرقى من أهل تلك المناطق بهذه الأمور.

مثال ذلك:

لقد طغت اللغة الألمانية على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لألمانيا بأوروبا الوسطى (سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا) وقضت على لهجاتها الأولى.

الحالة الثانية:

إذا تغلغل نفوذ أحد الشعبين في الشعب المجاور له، وعندها ستتغلّب لغة الشعب الأقوى نفوذًا، شريطة أن لا يقلّ عنه حضاريًا، ويتأكّد انتصاره إن كان الأرقى.

مثال ذلك: تغلّبت الفرنسية على المناطق المجاورة لها ببلجيكا وسويسرا، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لجميع سكان **والونيا** ببلجيكا، وأصبحت لغة 22% من سكان سويسرا.

وعلى الأساس ذاته، تتغلّب في الدولة الواحدة لغة المقاطعة التي تكون بها العاصمة أو يكون لأهلها السلطان والنفوذ.

---

7. هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، ط1، 1988، ص 130.

8 . ينظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص99/93.

مثال ذلك: نتيجة وقوع عاصمة بلجيكا (بروكسل) في مقاطعة (والونيا- بالجنوب) ذات اللّسان الفرنسي، ولأنّ سكان هذه المقاطعة يتمتّعون بقسط كبير من النفوذ والسلطان في هذه الدولة، أخذت اللغة الفرنسية تتغلّب على الفلامندية (لغة القسم الشمالي من بلجيكا المسمّى فلاندر) وتنتقص من أطرافها.

- ولوقوع عاصمة سويسرا (برن) في القسم الناطق بالألمانية، ولأنّ سكان هذا القسم يتمتّعون باكبر قسط من النفوذ والسلطان وتتألّف منهم الأغلبية الساحقة، يتكلّم الألمانية في سويسرا نحو 70% من أهلها.

- أخذت لغة قريش قبيل الإسلام تتغلّب على اللغات المضرية الأخرى، لما كانت تتمتّع به من سلطان أدبي، ويستأثر به أهلها من نفوذ ديني وسياسي.

ب. في الاحتمال الثاني: **(التعايش)**

ويحدث هذا فيما عدا الحالتين السابقتين (الكثافة السكانية/ النفوذ)، وينتج عنها أن تبقى اللغتان معًا جنبًا إلى جنب، ويدخل في هذا الإطار معظم العلاقات بين اللغات المتجاورة في العصر الحاضر.

مثال ذلك:

- إنّ الجوار بين فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، إيطاليا، إسبانيا، البرتغال، لم يؤدّ إلى تغلّب لغة شعب منها على لغة شعب آخر، لأنّ احتكاك لغاتها لا ينطبق على حالة من الحالتين اللتين يحدث فيهما التغلّب بالمجاورة.

- لم يؤدّ الجوار بين الفارسية والعراقية والتركية والأفغانية إلى تغلّب لغة منها على أخرى.

- نفس الشيء بالنسبة للإنجليزية بشمال أمريكا والإسبانية المجاورة لها بالمكسيك.

- البرتغالية في البرازيل والإسبانية بالجمهوريات المجاورة لها بأمريكا الجنوبية (كولومبيا، البيرو، بوليفيا، البراغواي، الإيرغواي...)

المحاضرة الثامنة:

الصراع اللغوي.. المراحل والأنواع

بعد تقديم لمحة بسيطة عن مفهوم الصّراع اللغوي، ومحاولة الإلمام بأهم العوامل المتحكّمة في نشأته، وكذا في نتائجه، مع ضرب بعض الأمثلة التاريخية الشهيرة، نصل في المحاضرة الثانية من الموضوع إلى تقديم تصوّر أكثر وضوحًا، وذلك من خلال تسليط بعض الضوء على أسس تغلّب اللغات، حالات الصّراع اللغوي، مراحله وأنواعه.

1. أسس تغلّب اللّغة على غيرها:

بناءً على ماسبق، يمكننا القول إنّ اللّغة لا تتغلّب على أخرى إلاّ بتحقّق قواعد الصراع اللغوي الآتية[1]:

1. أن تكون اللغة الغالبة، لغة شعب متحضّر، أرقى من الشعب المغلوب، في حضارته وثقافته، وأقوى منه سلطانًا وأوسع نفوذًا.

2. أن تبقى غلبة الغالب زمانًا كافيًا، مع استمرار قوّته، لتتمكّن اللغة الغالبة من بسط نفوذها، ويتمّ لها نصر حقيقي.

3. أن تكون هناك جالية كبيرة العدد والنفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التي غلبت لغتها، وتمتزج بأفراد هذا الشعب، ولا تعيش إطلاقًا في عزلة منه.

4. أن تكون اللغتان: الغالبة والمغلوبة، من شعبة لغوية واحدة، أو من شعبتين متجاورتين.

2. ملاحظات عامّة:

أ. لا يتم النّصر غالبًا لإحدى اللغتين إلاّ بعد أمد طويل يبلغ أحيانًا بضعة قرون، مثال ذلك أنّ الصراع بين الألمانية والفرنسية في سويسرا قد بدأ منذ قرون، مع ذلك لم يتم النصر النهائي للغة الألمانية بعد.

ب. اللغة التي تتمّ لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع، بل إنّ طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثّر بها في بعض مظاهرها وبخاصّة في المفردات.

---

[1] . رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص177.

ج. اللغات المتجاورة وإن لم تتغلّب إحداها على الأخرى، فهناك أثر متبادل، وهو انتقال المفردات، كما حدث بين الفارسية والتركية، والفارسية والعراقية بالعصر الحاضر.

د. من بين العوامل الأخرى للاحتكاك اللغوي:

- اشتباك شعبين مختلفي اللّغة أو شعوب مختلفة اللغات في حرب طويلة الأمد.
- توثق العلاقات التجارية بين شعبين مختلفي اللّغة.
- توثق العلاقات الثقافية بين شعبين مختلفي اللّغة.

3. حالات الصراع اللغوي:

للصراع اللغوي حالات عديدة تتوزّع بين اللغات الأصلية والأجنبية، لغات الأغلبية ولغات الأقلية، اللغات الفصيحة واللهجات المحلية.. ويمكن تلخيصها عمومًا في جملة النقاط الآتية[2]:

1. *صراع بين لغة وأخرى أجنبية*

مثال ذلك: تغلّب اللغة العربية على كثير من اللغات السامية الأخرى.

2. *صراع بين لغة وأخرى داخل لغة واحدة (لهجات)*

مثال ذلك: ما حدث في اللغة العربية نفسها من صراع بين عدّة لهجات عربية متفرّقة، فكانت الغلبة في النهاية للغة قريش لعوامل كثيرة (دينية، سياسية، ثقافية..).

3. *صراع بين لغة مثالية وأخرى عامية في داخل لغة واحدة*

مثال ذلك: ما نجده ماثلاً في واقع اللغة العربية حديثًا؛ حيث إنّ اللغة الفصحى مقصورة في جوانب معيّنة من الاستخدام اللغوي، بينما تطغى العامية على ألسنة العامّة، مسيطرة بذلك على أغلب الأماكن والمواقع الحيوية، كالإعلام مثلاً، وهو ما يدلّ على أنّ العامية سيطرت على واقع المجتمعات العربية.

4. مراحل الصراع اللّغوي:

يحدّد علماء اللغة لهذا الصراع مراحل، تظهر في كل مرحلة عوامل تساعد على انحلال اللّغة المقهورة، وتؤدي إلى القضاء عليها تدريجيًا، تتلخّص فيما يلي[3]:

---

[2]. ينظر: ابراهيم بن علي الدبيان، الصراع اللغوي، مؤتمر علم اللغة الثالث: التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 17/16 / 1/ 1427هـ ، ص4.

في المرحلة الأولى:

تطغى مفردات اللغة المنتصرة وتحل محل اللغة المقهورة شيئاً فشيئاً، وقد يكون الصراع بين اللغتين شديداً وطويل الأمد هنا يكون للغة المقهورة قدر واسعٌ من المفردات تدخل في اللغة الغالبة، وقد يكون الصراع ضعيفاً ، فاللغة المغلوبة لا تبدي أي مقاومة في اللغة الغالبة.

في المرحلة الثانية:

تتغير مخارج الأصوات ويصبح نطقها أقرب لأصوات اللّغة الجديدة شيئاً فشيئاً، حتى تصبح على صورة تُطابق أو تُقارب التي هي عليها في اللّغة المنتصرة، وذلك بأن يتصرف المغلوب تصرف الغالب في النطق بالأصوات. وهذه المرحلة تعد أخطر مراحل الصراع اللغوي، إذ يزداد فيها انحلال اللغة المغلوبة، ويشتد قربها من اللغة الغالبة.

في المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة تفرض اللّغة المنتصرة قواعدها وقوانينها اللّغوية الخاصة بالجمل والتراكيب، وبهذا تزول معالم اللّغة المقهورة وحينئذ تبدأ اللّغة المنتصرة في إحلال أخليتها واستعاراتها ومعانيها المجازية محل الأخيلة والاستعارات للغة القديمة التي تموت شيئاً فشيئاً .

ومهما يكن الأمر، فإنّ النصر لا يتم للغة من اللغات إلا بعد أمدٍ طويل، قد يصل أحياناً إلى أكثر من أربعة قرون، فالرومان أخضعوا بلاد الغال (فرنسا وسويسرا سابقًا) في القرن الأول الميلادي، ولكن لم تتم الغلبة للغة اللاتينية إلا في القرن الرابع.

5. أنواع الصّراع اللغوي:

"لئن كانت الشعوب ولغاتها ضالعة منذ القديم في صراعات واسعة، فإنّ البشر يحاولون اليوم التدخّل في هذا الميدان بصورة مباشرة، في مخابرهم. ويسمح الربط بين الدراسة الحيّة في الميدان من جهة، والدراسة المصطنعة في المخابر من جهة أخرى، بأن نحيط بالرهانات المتعلّقة بالتخطيط اللغوي، وبأهدافه، وبمدى ملاءمته للممارسة الاجتماعية"[4]. ويرى "بيتر هانس نيلد" أنّه بإمكاننا النّظر إلى

---

[3] . رمضان عبد التواب: المرجع نفسه، ص175/174.

[4]. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، ص 31.

الصراعات اللغوية المعاصرة في أوروبا وأمريكا الوسطى والغربية، وجنوب شرق آسيا وأجزاء من أفريقيا كأوضاع صراع لغوي طبيعي أو اصطناعي.

1.5. الصراع اللغوي الطبيعي:

ويتمثّل في تلك الأوضاع التي كانت موجودة تقليديًا في الأغلبيات الأصلية والأقليات، مثل الصراع الموجود في كندا المتضمّنة للأقلية المتحدّثة بالفرنسية، وكذا بعض لغات الأهالي الأصليين. من هنا، فإنّ الصراعات اللغوية الطبيعية يمكن أن تصبح إشكالية عندما تستعمل الأيديولوجيا من الجانبين – ليس فقط الأغلبية ولكن الأقلية كذلك– لتقوية الخلافات التي توجد سلفًا، وأنّ التعايش السلمي بين المجموعات اللغوية يمكن أن يهدّد بسهولة عندما ترفع راية اللغة كرمز محدّد للشّعب[5].

2.5. الصراع اللغوي الاصطناعي:

إنّ معظم الصراعات اللغوية المعاصرة هي نتيجة للوضع الاجتماعي المختلف والمعالجة التفضيلية للغة المهيمنة من طرف الحكومة. وفي هذه الحالات هناك مخاوف وإحباطات دينية واجتماعية واقتصادية ونفسية في المجموعة الضعيفة التي يمكن أن تكون المسؤولة عن الصراع اللغوي... وهكذا، تظهر معظم المشاكل اللغوية التي توجد في مجالات مختلفة (سياسية، اقتصادية، إدارية، تربوية) تحت عنوان صراع اللغة. وفي مثل هذه الحالات يستغلّ القادة السياسيون والاقتصاديون مفهوم الصراع اللغوي، متجاهلين الأسباب الضمنية الحالية، ويواصلون من (أعلى) تأجيج الصراع الذي تمّ تأجيجه من (تحت)، والنتيجة هي أنّ اللغة تتّخذ أهمية أكثر أفضل ممّا كانت عليه خارج الصّراع. ف "البنية السطحية" الموجهة نحو اللغة تستعمل لتعتيم "البنية العميقة" التي تمّ حذفها (مشاكل اجتماعية واقتصادية)[6].

6. مثال تطبيقي: الصراع اللغوي بين العربية والتركية

إنّ الناظر لتاريخ العربية، سواء قبل الإسلام أم بعده، سيلاحظ أنّ اللغة العربية دخلت وعلى قرون عديدة في علاقات متنوّعة مع لغات متنوّعة، فأثّرت فيها وتأثّرت بها.

---

[5] . ينظر: بيتر هانس نيلد، الصراع اللغوي، ضمن: دليل السوسيولسانيات، ص636/637.

[6] . ينظر: المرجع نفسه، ص631.

ومهما يكن الأمر، فإنّ أقصى درجات التأثير كانت بعد انتشار الإسلام، ودخول غير العرب فيه، واحتكاك العرب بهم بكلّ من آسيا وأفريقيا وأوروبا. حيث دخلت العربية في صراع مع الآرامية في كلّ من سوريا ولبنان والعراق، والقبطية في مصر، والبربرية في شمال أفريقيا، والفارسية في إيران، والتركية من بلاد المغول، وكانت نتيجة هذا الصّراع أن قضت اللّغة العربية على الآرامية والقبطية والبربرية وسادت في مناطقها. ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ اللّغة الغالبة لا تخرج سالمة بعد الصّراع، إنّها تتأثّر بتلك اللّغات التي نافستها وغلبتها على مستويات عديدة، تختلف باختلاف اللّغات قوّةً وضعفًا. وبالنسبة للّغة الفارسية، فقد انتهى الصّراع بينهما بآثار واضحة لكلّ منهما بالأخرى، وإن كانت الهزيمة لم تكتب لأيّ منهما، فإنّ تأثير العربية بالفارسية كان أكبر وأعمق.

و" أمّا صراع العربية مع التركية والقوطية فقد ترك في هاتين اللّغتين آثارًا واضحةً من العربية، ولكن لم يكد يترك في العربية شيئًا منهما، فقد اقتبست كلتاهما من العربية طائفة كبيرة من المفردات، وكان حظ التركية من ذلك أوسع كثيرًا من حظّ القوطية على حين أنّ أثرهما فيها لم يكد يظهر إلاّ في بعض اللّهجات العاميّة المنشعبة عن اللّغة العربية"[7].

لقد أخذت التركية من العربية عددًا معتبرًا من الكلمات، ولم يكد يبق للتركية من فصيلتها، أي الطورانية إلاّ القواعد، ورغم أنّ ".. عدد الكلمات العربية الموجودة في اللّغة التركية، كما الفارسية، يتجاوز بكثير الـ 10000 كلمة"[8]، والتي مثّلت مع القرن السادس عشر نصف المفردات التي يستعملها الأتراك، ووصلت مع نهاية القرن التاسع عشر إلى الثلثين، فإنّ الأتراك، ولما عجزوا عن التصدّي لقوانين الصّراع اللغوي ومراحله الطبيعية، فرضوا لغتهم فرضًا واستغلّوا النفوذ السياسي في سبيل ذلك.

ومهما يكن الأمر، فإنّ ".. اللّغة التركية لم تقو على التغلّب على لغة أيّة أمّة من الأمم التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية بأوروبا وآسيا وإفريقيا، على الرّغم من بقاء هذه الأمم مدّة طويلة تحت سلطان تركيا، وذلك لاختلاف فصائل اللّغات (..)، ولأنّ الترك كانوا أقلّ حضارة وثقافة من

---

7. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، نهضة مصر، ط3، 2004، ص103.

8. ينظر: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، مجلّد 2، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، استانبول، 1990، ص525.

معظم الشعوب التي كانت تابعة لهم، ولقلّة عدد جاليتهم في بلاد هذه الشّعوب، ولضعف امتزاجها بالسّكان"[9].

إنّ الصراع بين اللّغتين العربية والتركية لم يكن صراعًا موقعًا بقانون الطبيعة بل كان بفعل سياسي مطلق، وباتّخاذ النفوذ وسيلة وغاية بالوقت نفسه. من هنا، كان استغلال السلطان فكانت التركية لغة الإدارة، واستغلال التعليم فكانت لغة العلم والأدب، وإنّ في ذلك سيطرة على حاضر الأمّة ومستقبلها وإضعافًا لدور العربية داخليًا وخارجيًا.

لم ينته مشهد الصّراع بين العربية والتركية عند هذا الحد، بل لقد تجاوزه إلى الإعلان الرّسمي الصريح عن سياسة التتريك، هذه السياسة التي أدّت إلى توقيع وثيقة الانفصال التام بين الأتراك والعرب، وأخذت السلطنة، للأسف، من السيادة الإسلامية إلى التبعية الأوروبية بإمضاء جمعية الاتّحاد والترقّي، وعلى وجه الخصوص كمال أتاتورك.

9. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر، ط9، ص238.

المحاضرة التاسعة:

المـــــوت اللغـــــوي

1. تعريف الموت اللّغوي:

يقول ***محمود السعران***:" توصف بعض اللغات بأنّها 'حيّة' ، وتوصف لغات أخرى بأنّها 'ميّتة'، وحقيقة الأمر أنّ كلاً من حياة اللغات وموتها أمران نسبيان، يقاسان باستمرار استعمال هذه اللغات، أو انقطاع جريانها على الألسن.

إنّ أية لغة من اللّغات هي نظام معيّن من النظم الاجتماعية، وهي بهذا الاعتبار خاضعة لتطوّر مشروط بتطوّر الجماعة التي تتكلّمها، وأيّة لغة باعتبارها نظامًا من العلامات التعسّفية المتواضع عليها لا يقوم لها وجود إلاّ إذا استعملتها جماعة من الجماعات"[1].

إنّ حياة اللغة أو موتها قضية مرتبطة باستعمالها ضمن الجماعة اللغوية أو المجتمع اللّغوي الذي يتبناها. من هنا، سيكون موت اللغة نقص عدد متكلّميها بسبب موت متحدّثيها أو إجبارهم على ترك لغتهم وتعلّم ومن ثمّة تبنّي لغة أخرى، وذلك بتأثير عدد من العوامل سنذكرها لاحقًا.

يعبّر عن الموت اللغوي أيضًا بـ: "انقراض اللغات"، ويعرّف اللّغويون بالعادة اللّغة المنقرضة بأنّها تلك التي يتكلّمها أقل من ألف إنسان.

مع ما يسجّله العالم اليوم من هيمنة تفرضها العولمة واللغات الأساسية المسيطرة: الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية، أصبحت الكثير من اللغات مهدّدة بالزوال مع نهاية هذا القرن.

2. أسباب الموت اللّغوي:

من أهم عوامل اندثار اللغات نذكر الآتي[2]:

أ. حروب الإبادة الجماعية والكوارث الطبيعية.

مثال ذلك: ما جرى لشعوب الكاريبي خلال عقد من السنين بعد كولومبس، إلا أن مثل هذه الحالات نادرة. وهكذا إثر اندحار العرب في الأندلس بعد قرابة ثمانية قرون انقرضت عربيتهم هناك؛

---

1. **محمود السعران : اللغة والمجتمع، ص168.**

2. **ينظر: حسيب شحادة، مدخل إلى ظاهرة انقراض اللغات، موقع ديوان العرب، 13ماي 2008.**

وفي جنوب السودان مثلا ظهرت عربية جوبا وفي جزيرة مالطا تحوّلت عربيتها إلى لغة أوروبية. وفي عصرنا الحاضر حلّت الإنجليزية محل الإيرلندية في شمال إيرلندا وتهدد الآن الولشية والجالية في أسكتلندا.

ب. عوامل داخلية أو خارجية كاحتلال لغة ما تدريجيا مكان لغة أخرى لأسباب اجتماعية أو سياسية.

مثال ذلك: لغة كشوا في أمريكا الجنوبية التي يتحدثها نحو ثمانية ملايين نسمة وبالرغم من ذلك فهي مرشحة للانقراض بعد بضعة عقود لأن الأطفال يتكلمون الإسبانية عوضا عنها.

ج. الأمراض والأوبئة التي تؤدي إلى موت الجماعات.

د. منافسة لغة جديدة للغة الأصلية، فيكون إمّا الانتحار أو القتل.

3. أنواع الموت اللّغوي:

يمكن أن تموت اللّغة بواحدة من الطرق التالية[3]:

1. موت اللغة تدريجياً.
2. موت اللغة من أسفل إلى أعلى: ويكون بأن تبدأ اللغة بالتغير في مكان ما، فتنحطّ بين متحدثيها وصولاً إلى انحطاطها في الحكومة والدولة.
3. موت اللغة من أعلى إلى أسفل : وذلك عندما تبدأ اللغة في الانحطاط بسبب السياسات الحكومية وقوانين الدولة، مثال ذلك إصدار قانون يمنع استخدام اللغة في الدوائر الحكومية في الدولة.
4. موت اللغة راديكالياً (جذرياً): ويحدث نتيجة الإبادة الجماعية وعمليات التطهير العرقي.
5. موت اللغة بيولوجياً: ويسمى أيضًا موت اللغة المفاجئ.

ملاحظات عامّة:

– إنّ العملية الأكثر شيوعًا، والتي تؤدي إلى موت اللغة، هي أن يبدأ شعب باستعمال لغة أخرى بجانب لغته الأم، فيصبح الشعب ثنائي اللغة. ويبدأ بالتحول تدريجياً إلى الاهتمام باللغة الأخرى والولاء لها والتأثر بثقافتها، وصولاً إلى درجة استعمالها أكثر من لغتهم الأصلية.

---

[3]. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موت اللغة، ***https://ar.wikipedia.org/wiki.***

– قد يُجبر شعب ما على استعمال لغة أخرى إلى جانب لغته الأم في حالات الاحتلال وبدء الدولة المستعمرة بفرض لغتها وثقافتها على الشعب المحتل.

– قد يُعلن أحياناً موت لغة ما حتى قبل وفاة آخر متحدث بها، إذا كان لا يوجد سوى عدد قليل من متحدثيها من كبار السن ولم تعد تلك اللغة تستخدم في الاتصال والتواصل بين متحدثيها.

– نحن عندما نتحدث عن موت لغة ما فذلك لا يعني أنها هرمت وذبلت وهوت أرضا جرّاء عمرها المديد، إذ أن الموت يحلّ بلغة حديثة العهد أيضا.

– إن اندثار اللغات في كل الحالات يحدث عندما تحتلّ لغة ما ذات هيبة ونفوذ سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مكان لغة ثانية. ذلك الموت قد يكون، كما يذكر في مراجع معينة، إما انتحارا وإما قتلا، ويكون الأول عند تشابه اللغتين والثاني حين اختلافهما. في الحقيقة لا خط واضح المعالم دائما بين نمطي ''الموت'' هذين وأمامنا على المحكّ ظاهرة اجتماعية في الأساس[4].

4. نماذج من الموت اللّغوي:

عرف العالم منذ القدم كمًّا هائلاً من اللغات واللهجات، منها ما قاوم واستمرّ لفترة من الزمن، ومنها ما اندثر بسرعة وزالت كلّ دلائل وجوده، ومن أشهر نماذج الموت اللغوي نذكر النماذج الآتية[5]:

– تعدّ اللاتينية من أشهر أمثلة الموت اللّغوي، وحقيقة الأمر أنّ اللاتينية لم تمت من الناحية التاريخية، وإنّما أصابتها تغييرات عميقة أنتجت أشكالاً حديثة لها، أشهرها البرتغالية والفرنسية والإيطالية والإسبانية ولغة رومانيا ولغة كتالونيا... وغيرها، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أنّا نحسّ إذا نظرنا إلى الأشكال الحديثة للاتينية بأنّها لغات مختلفة.

– من ذلك أيضًا اللغة القبطية بمصر وقد حلّت محلّها اللغة العربية.

– اللغة البربرية في عديد المناطق من شمال أفريقيا، وحلّت محلّها العربية بعد الفتح الإسلامي.

– لغة (كورنوال) وهي لغة كلتية الأصل كان يتكلّمها أهل الجزر البريطانية إلى أن حلّت محلّها اللغة الإنجليزية.

– الهندوأوروبية العامة التي انبثق عنها عدد كبير من اللغات.

---

[4]. **ينظر: حسيب شحادة، مدخل إلى ظاهرة انقراض اللغات، موقع ديوان العرب .**

[5]. **محمود السعران : اللغة والمجتمع، ص 169/168.**

– الأمر ذاته بالنسبة للسامية العامّة التي تفرّعت عنها الكثير من اللغات والتي انقرضت بدورها، مثل الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري و الأوغريتية ولغة الحبشة القديمة والفينيقية...

– اللغة الإسكندنافية العامّة، التي انبثق عنها: الأيسلندية، الفورية، النرويجية، السويدية، الدانماركية.

– اللغة الجرمانية العامّة، وظهر عنها الإنجليزية والألمانية والهولندية.

– تحوّلت عربية جزيرة مالطا إلى لغة أوروبية.

5. الموت اللّغوي والعولمة:

مع ما يسجّله العالم اليوم من هيمنة تفرضها العولمة واللغات الأساسية المسيطرة: الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية، أصبحت الكثير من اللغات مهدّدة بالزوال مع نهاية هذا القرن. ويذهب الدكتور ***حسيب شحادة*** في مقاله الموسوم بـ: "إطلالة على ظاهرة انقراض اللغات ومنها العربية" إلى أنّ الباحثين اللغويين اليوم يتوقعون انقراض قرابة 50% من لغات العالم في غضون هذا القرن، الحادي والعشرين، وعليه فباحثو اللغات على اختلاف تخصصاتهم في سباق مع عجلة الزمن المتسارعة لرصد خصائص تلك اللغات وتوثيقها.

إن أستراليا مثلا، كانت قد شهدت في فترة زمنية معينة، قبل الاحتلال البريطاني حوالي 250 لغة أصلية واليوم بقيت منها عشرون لغة ومن المحتمل في المستقبل اندثار 90% منها خلال هذا القرن، إن لم تتم إجراءات عاجلة وفعّالة للحفاظ على بعضها على الأقلّ. لذلك هنالك مثلا "اليوم العالمي للغة الأم" المصادف في الحادي والعشرين من شباط من كل عام حيث تقام فعاليات مختلفة ترمي إلى لفت النظر لأهمية لغة الأم وسُبل الحفاظ عليها وتطويرها، إلا أن ذلك اليوم غير كاف بالمرّة. ففي هذه القارة بعض اللغات التي لا يتكلمها أكثرُ من مائة شخص.

وتحتلّ القارة الأمريكية الشمالية المركز الثاني من حيث عدد اللغات الأصلية المندثرة أو الآيلة إلى الأفول فالزوال، حيث يقدّر عددها بحوالي 80%. كان لدى الهنود الحمر في أمريكا، على سبيل المثال، أكثر من 175 لغةً بقي منها عشرون فقط. ولم يتبق منها، في الواقع، سوى خمس لغات يصل عدد ناطقيها إلى عشرة آلاف فقط. أما في كندا فالوضع لا يختلف كثيرا، إذ أنه من ضمن ستين لغة أصلية لم يبق إلا خمس لغات ما زالت حية ترزق.

أمّا في القارة السوداء فيصل عدد اللغات التي ولّت أربعا وخمسين وعدد التي في دائرة خطر الاندثار مائة وستّ عشرة لغة.

وما يمكن ملاحظته أنّ اللغات المهددة بالاندثار تعاني من ضعف في النقل منها وإليها خاصة إذ ما أخذنا بالحسبان أن 40% من المؤلَّفات المترجمة في العالم هي من اللغة الإنجليزية الأمريكية. وصف الكثيرون القرن المنصرم بـ "القرن الأمريكي" وكل الدلائل الراهنة تشير إلى استمراره حتى يوم الناس هذا. الجدير بالذكر أن ظاهرة الاندثار اللغوي تحدث عادة لدى شعوب فقيرة وغير متقدمة وهي بأمس حاجة لمواردها الثقافية للبقاء[6].

6. لغات في طور الاحتضار:

ونضرب مثالاً عن ذلك بلغة *Gaeli* في جزيرة *Cape Breton* الواقعة إلى الشمال الشرقي من *Nova Scotia* التي كانت تكوّن إحدى الولايات الأربع في دومنيون كندا. يقدّر عدد الناطقين بهذه اللغة اليوم كلغة أم بحوالي خمسمائة من المسنّين في حين أن عددهم في مستهل القرن العشرين تراوح ما بين خمسين ألفا وخمسة وسبعين ألفا. يُشار إلى أنه في عام 1890 قدّم في البرلمان الكندي اقتراح يجعل لغة چايلي لغة رسمية ثالثة في البلاد. في ذلك الوقت تحدّث أكثرُ من ثلاثة أرباع سكّان جزيرة كيپ بريتون لغات اسكتلندية قديمة. هناك بعض الجامعات التي ما زالت تدرّس لغة الچايلي ضمن اللغات السلتية *Celtic* وهي مجموعة من اللغات الهندية-الأوروبية؛ أما في جزيرة كيپ بريتون فهناك أربع مدارس فقط تعلّم اللغة المذكورة فيها كمادّة اختيارية وهناك إمكانية لتعلمها على الشبكة العنكبوتية [7].

7. اللغة و الإحياء بعد الموت:

يذهب ***ديفيد كريستل*** في كتابه (موت اللّغة) إلى أنّنا ".. نعلم الكثير عن أسباب تهديد اللغات وموتها، كما نعلم لماذا يتحوّل الناس من لغة إلى أخرى، ولكنّنا لا نزال لا نعرف إلاّ القليل عن سبب محافظة الناس على اللغات، واستمرار ولائهم"[8].

---

6. حسيب شحادة: إطلالة على ظاهرة انقراض اللغات ومنها العربية، الحوار المتمدن، العدد: 5054، 2016 / 1/ 24 .

7. ينظر: حسيب شحادة، مدخل إلى ظاهرة انقراض اللغات، موقع ديوان العرب.

8. ديفيد كريستل: موت اللغة، ترجمة: فهد بن مسعد اللهيبي، جامعة تبوك، 2006، ص 207.

ويحدّد **كريستل** ست عوامل مهمّة ومؤثرة، يمكن اعتمادها كمعايير مسلّم بها لوضع أسس نظرية إحياء اللغة، حتّى تتطوّر وتصبح أداة اتّصال بين الأجيال عند أهلها وفي المناطق المجاورة لها، وهي على التوالي[9]:

1. اللغة المهدّدة بالانقراض ستنمو إذا عزّز المتحدّثون بها هيبتهم داخل الجماعة المهيمنة.
2. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا زاد متحدثوها من ثرائهم مقارنة بالجماعة المهيمنة.
3. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا استطاع المتحدثون بها تعزيز شرعيتهم أمام الجماعة المهيمنة.
4. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا امتلك المتحدثون بها حضورًا قويًا في النظام التعليمي.
5. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا كان المتحدثون بها يستطيعون كتابتها.
6. اللغة المهددة بالانقراض ستنمو إذا كان استطاع المتحدثون بها الاستفادة من التقنية الإلكترونية.

ولعلّ أشهر نموذج لعملية الإحياء في العصر الحديث، وتحديدًا إحياء اللغة المحكية، ما تمّ في فلسطين من محاولة لإحياء اللغة العبرية بعد أن كانت غائبة عن التواصل لقرون طويلة، وهو ما ساهم في توحيد اليهود الذين كانوا يتكلّمون لغات عديدة وكثيرة بسبب تشرّدهم بين دول العالم المختلفة. وقد تسبّب إحياء العبرية في تشكيل الكيان الصهيوني الموحّد.

يرتبط إحياء العبرية بالجهود التي قدّمها الأديب والصحفي والمفكر اليهودي (إليعازر بن يهودا)، ولتتبّع الجهود التي قدّمها هذا الرّجل، يمكن العودة لمقال **حسيب شحادة**[10].

---

9. **المرجع نفسه، ص 231/211.**

10. **حسيب شحادة: بن يهودا وإحياء اللغة العبرية الحديثة، موقع الحوار المتمدّن، 2009/12/21.**

المحاضرة العاشرة:

الازدواجية اللّغوية

تمهيد:

تعرف اللّغة في حياتها الممتدة عبر الزمن صورتين متعارضتين:

الأولى: التقسيم/ التنوّع.

والثانية: التوحّد.

وتعتبر الظواهر الناتجة عن كل من التنوّع والتوحّد من أهم مواضيع اللسانيات الاجتماعية، التي تسعى دومًا إلى مراقبتها وتبيان أسبابها ومناطق انتشارها وإيجابياتها وسلبياتها وانعكاساتها على واقعها اللّغوي والاجتماعي. ويمكن القول إنّ " هذا التقسيم والتوحّد كلاهما فعل أحداث تؤثر في الجماعات، ويرى بعض اللغويين أنّ الاتجاه نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحّد، وأنّ الاتجاه الأوّل هو عملية التطوّر الطبيعية للغة.. وهؤلاء اللغويون يستشهدون على رأيهم بأدلّة كثيرة، من بينها أنّه ما ظهرت لغة عامّة إلاّ تقسّمت في لغات كثيرة"[1].

وفي هذا الإطار ستركّز المحاضرات الآتية على ظاهرة التنوّع في اللغات، وذلك من خلال كلّ من: الازدواجية والثنائية والتعددية اللّغوية.

1. مصطلح الازدواجية اللّغوية: *diglossia*

يتكوّن هذا المصطلح من[2]:

سابقة يونانية *di* ، معناها مثنى أو ثنائي أو مضاعف.

gloss ومعناها: اللّغة.

اللاحقة *ia* للحالة.

فحاصل الترجمة: حالة أو صفة لغة مثناه أو مضاعفة (الثنائية اللغوية).

---

1. حسن كراز: اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة..، دار الرافدين، بيروت، 2018، ص 43.

2. ينظر: إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية، جامعة الملك فيصل، السعودية، المجلد 3، العدد 1، مارس 2002، ص 55.

يواجه هذا المصطلح نوعًا من العسر والإبهام في تحديد مفهومه عند كثير من الباحثين، ويعتقد بعضهم أنّ أوّل من تحدّث عن ظاهرة الازدواجية اللّغوية العالم الألماني ***كارل كرمباخر*** عام 1902، غير أن هذا الرأي لم يلق تأييد كثير من العلماء، فذهب بعضهم إلى القول إنّ العالم الفرنسي ***وليام ماسيه*** *Marçais* كان من نحت هذا المصطلح بالفرنسية *la diglossie* ، وقد عرّفه بمقال كتب عام 1930 بقوله: "هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عاميّة شائعة"[3].

وخلافًا لمن ينسب السبق لـ ماسيه، "يبيّن لُبلنير *Lubliner* (2004) أنّ مصطلح *Diglossie* سبق إلى استعماله اللساني الفرنسي- الإغريقي *Psichari*، وأنّه مرادف للثنائية *Bilingualism*. وتعرف القواميس الازدواجية اللغوية بأنّها استعمال جماعة لغوية للغتين أو تنويعتين لنفس اللغة. وقد شاع اللفظ بعد أن استعمله اللساني ميه *Meillet* سنة 1917"[4].

لقد نقل العالم الأمريكي ***شارل فرغسون*** *Ferguson* هذا المصطلح إلى الإنجليزية عام 1959، ليدلّ به على شكلين مختلفين من الاستخدام للّسان نفسه، أي أنّه تنافس بين تنوعين للّسان الواحد، مع وجود وضع مختلف لكلّ منهما، إذ يستخدم أوّلهما في الحياة اليومية (التواصل اليومي)، في حين يستخدم الثاني في الأمور الرسمية والدوائر الحكومية، وفي المدارس والمحاكم والجامعات والوزارات والإعلام وغيرها من المؤسّسات[5].

2. تعريف الازدواجية اللغوية:

يعرّف ***فرغسون*** هذه الظاهرة بقوله:

"وضع لغوي قارٌ نسبيًا، يوجد فيه إلى جانب اللّهجات الأولى للغة (التي قد تتضمّن 'لغة' معيارية أو معياريات إقليمية) تنوّع فوقي جدّ مختلف وبالغ التعقيد (وغالبًا ما يكون أكثر تعقيدًا من الناحية النحوية)، حامل لنصوص كثيرة ومحترمة من الأدب المكتوب، إمّا من فترة سابقة أو من مجموعة لغوية أخرى، يتعلّمه النّاس عمومًا في التعليم الرسمي ويستعمل لأغراض مكتوبة أو أحاديث ضاربة

---

[3]. ينظر: المرجع السابق، ص 62/61.

[4]. عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013، ص20.

[5]. إبراهيم كايد محمود، المرجع السابق، ص 62.

في الرسمية، ولكنّه لا يستعمل في أي قطاع في المجموعة للحديث العادي"[6].

إنّنا نقف وبشكل صريح أمام اللّغة الفصحى واللّهجات العامية، أمام اللّغة الرّسمية للدّولة، والتي تفرضها بمؤسّساتها، وتستعمل للأدب والإبداع، مقابل العامية التي تستعمل للتواصل الاجتماعي اليومي.

يذهب ***أندريه مارتينيه*** إلى الفكرة ذاتها، فيقول:

" نميل إذن إلى أن نخصّص تحت مفردة الازدواجية اللّغوية موقفًا لغويًا اجتماعيًا؛ حيث تستخدم بشكل تنافسي لهجتان لهما وضع اجتماعي- ثقافي مختلف، الأولى باعتبارها لغة محليّة، أي شكلاً لغويًا مكتسبًا أوليًا ومستخدمًا في الحياة اليومية، والأخرى لسانًا يفرض استخدامه في بعض الظروف من قبل أولئك الذين يمسكون بزمام السلطة"[7].

يرى ***ديفيد كريستل*** أنّه مصطلح يستخدم في علم اللغة الاجتماعي للإشارة إلى موقف يتشارك فيه صنفان مختلفان تمامًا للغة في كل خطاب مجتمع، ولكل منهما مجموعة مميزة من الوظيفة الاجتماعية ..[8].

ويمكن تلخيصها أيضًا في كونها تعني ".. وجود نمطين من اللغة يسيران جنبًا إلى جنب في المجتمع، يتمثّل النمط الأوّل: باللغة النموذجية. والثاني: هو ما جرى العرف على تسميته باللغة المحلية"[9].

من هنا، واستنادًا للتعريفات السابقة، يمكن القول إنّ تحديد مفهوم نهائي للازدواجية اللّغوية يقوم على معيارين اثنين هما:

---

6. **عبد القادر الفاسي الفهري: المرجع السابق، ص 20.**

7. **إبراهيم كايد محمود: المرجع السابق، ص 62.**

8. *Diglossia: A term used in sociolinguistics to refer to a situation where two very different varieties of a language co-_occur throughout a speech Community, each with distinct range of social function ...And usually have special names. Sociolinguistics usuall talk in terms of a high(H) variety and a low (L) variety.*
David Crystal, A Dictionary of Linguistics And phonetics, sixth Edition, 2008, Diglossia. P145.

9. **حسن كراز: اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة..، ص 45.**

1- تنافس بين نمطين لغويين عائدين للغة واحدة.

2- وضع مختلف لهذين النمطين من حيث الوظيفة والمكانة.

وهو ما يعني أنّ الازدواجية اللّغوية تخصّص وظيفةً لكلّ من الفصحى والعامية، فالفصحى للاستخدام الرّسمي، والعامية للاستخدام اليومي بين أفراد طبقات الشعب العامّة، فلكلّ منهما مناسبات ومواقف ومواضيع خاصّة. وإنّنا بهذا نقف أمام حالة من التنوّع اللّغوي في الاستخدام.

3. أسباب ظهور الازدواجية اللّغوية:

أ- التطوّر اللّغوي في كلّ مستويات اللّغة[10]:

صوتيًا : من خلال انحراف الأصوات عن مخارجها.

صرفيًا : كظهور صيغ ومشتقات جديدة غير معروفة عند العرب لا سماعًا ولا قياسًا، كصيغ الجمع والتصغير ببعض اللّهجات العربية.

نحويًا : من خلال التخلّص من العلامات الإعرابية، وتجاوز التركيب الصحيح للجمل.

دلاليًا : تغيّر معاني الألفاظ والصيغ بتأثير الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

ب- اللّهجات الاجتماعية الناتجة عن الفوارق الطبقية والمستوى التعليمي والمهني والجنس...

ج- الاحتكاك اللّغوي بين اللّغات وما ينتج عنه من ظهور لغات أو لهجات جديدة خسرت شيئًا من خصائصها وصفاتها الأصلية، وبدأت تدريجيًا في الابتعاد عن اللّغة الأم.

د- اختلاف البيئة في المجتمع اللّغوي الواحد، بين الأرياف والمدن والبوادي. فأبناء الريف مثلا يتحدّثون بلهجة تختلف عن تلك التي يتحدّث بها أبناء المدن.

4. تقسيمات الازدواجية اللغوية:

للازدواجية اللغوية تقسيمات وأنواع كثيرة، وقد حاول الدكتور ***الفاسي الفهري*** استنادًا لعدد من الأقوال والمعلومات والوضعيات اللغوية المختلفة عبر الزمان والمكان تقديم تصوّر عنها، وسنحاول بدورنا فيمايلي استخلاص البعض من هذه التقسيمات:

---

[10]. **ينظر: إبراهيم كايد محمود، المرجع السابق، ص 63.**

1.4. الازدواجية القوية/ الازدواجية الضعيفة:

وتعني الازدواجية القوية الوضع الذي تكون فيه اللغة المعيار (ع) واللهجة (س) متباينان بما يكفي في إدراك المستعملين، بنظامين متميزين من القواعد، واسمين مختلفين.

مثال ذلك: وضع الفرنسية المعيار في فرنسا إزاء البروتون أو الألزاسية.

وفي إيطاليا وضع الإيطالية إزاء النابولتيانية وغيرها.

أما الازدواجية الضعيفة فنسميها الوضع الذي تكون فيه اللهجة (س) أقرب إلى اللغة المعيار (ع)، وعليه لا يفكر المتكلمون في لغتين، و إنّما في "اللغة" (بصيغة الواحد) وفي " سلامتها".

مثال ذلك: الفرنسية البلجيكية التي لها خصائص تفصلها عن الفرنسية المعيار، ومع ذلك فإنّ الناس يعتقدون أنّ الأمر يتعلق بنوع واحد من الفرنسية[11].

2.4. الازدواجية المستقرّة/ الازدواجية غير المستقرّة:

إذ يؤكّد **فرغسون** أنّ الازدواجية جدّ مستقرّة فيقول: "الازدواجية تختص بأنّها تستمر لعدّة قرون على الأقل، وهناك ما يدلّ على أنّها في بعض الحالات تدوم أكثر من ألف سنة"، وهي الخاصية التي دافع عنها **كولماس** أيضًا، وبالأخص حين لا تزيد الفروق السياسية والدينية في توتّر الوضع.

في المقابل يشكّك البعض في استمرارية هذه الخاصية، نظرًا لكون التغيرات الاجتماعية، والتحديث، والتحضّر، وسقوط الحواجز الطبقية.. يجعل من خاصية الاستقرار أمرًا نادرًا، ويذهب **ماكيه** هنا إلى أنّ الأوضاع الازدواجية ليست قارة، بل لها حركيتها.

مثال ذلك: تتراجع المعيارية (ع) حين تتمكّن اللهجات العامية (س) من مجالات مخصّصة عادة للتنوع الأعلى؛ أي للغة المعيارية، فيبدأ التمهيد لتبنّي العامية في النصوص الدينية والأدبية، المكتوبة والمنطوقة. وقد يحدث العكس فتبرز المعيارية لمواكبة التطور والتحضر على حساب العامية[12].

3.4. الازدواجية التّامة/ الازدواجية الجزئية:

---

11. ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص23.
12. ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

وتكون الازدواجية تامّة حين يكون سلوك كلّ المتكلّمين ازدواجيًا، بمعنى أنّهم يتكلّمون اللغة المعيارية (ع) واللهجات العامية (س) معًا.

في حين تكون الازدواجية جزئية عندما يتكلّم بعض المتكلمين فقط اللغة المعيارية (ع)[13].

4.4. الازدواجية القطرية/ الازدواجية الاتّحادية:

تتّضح هذه الازدواجية في وضع اللغة العربية خاصّة، وتتعلّق بجانب سياسي وترابي، وهي وضعية خلقت الكثير من الارتباك عند منظري الازدواجية واللسانيين الاجتماعيين، الذين تعوّدوا على دراسة الظاهرة في إطار القطر الواحد.

فاللغة العربية تأخذ وضعين:

وضع قطري؛ باعتبارها لغة رسمية في القطر العربي الواحد الذي له دولته وحدوده الترابية واستقلاليته عن بقية الأقطار العربية.

وضع اتحادي؛ باعتبارها تلعب دورًا اتحاديًا أو جامعًا بين عدد من الأقطار، فهي لغة بينية جامعة بين البلدان العربية. وما يزيد الأمر تميّزًا أنّ هذه الأقطار التي تتّخذها جميعًا لغة رسمية لها، متّصلة ترابيًا من المحيط إلى الخليج، وهو ما يدعم الوحدة اللغوية والتقريب بين تنوّعاتها، وهو ما ينعكس إيجابيًا على الناحيتين التواصلية والاقتصادية[14].

5. ظهورها في اللّغة العربية:

يذهب عدد من علماء العربية إلى أنّ الازدواجية اللّغوية ظهرت في اللّغة العربية بعد الفتح الإسلامي الذي نتج عنه دخول عديد الشعوب والأمم غير العربية في الإسلام، ما أدّى إلى صراع بين العربية واللّغات الأخرى، وهو ما نتج عنه هذا الازدواج اللّغوي، وهذا يعني – مع شيء من التحفظ– أنّ العربية قبل الفتح الإسلامي كانت مستوى لغويًا واحدًا.

---

13. ينظر: المرجع السابق، ص 33.

14. ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

وقد استمرّت العربية على هذا الحال من التوحّد حتّى بدأ احتكاك قوي وحقيقي بين العربية وغيرها من لغات الأمم المغلوبة كبلاد فارس والروم، وهو ما أدّى إلى تفشّي ظاهرة اللّحن في اللّسان العربي، والتي يرجعها أبو الطيّب اللّغوي إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم، فيقول: ".. لأنّ اللّحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلّم، فقد روينا أنّ رجلا لحن بحضرته، فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل" بل قد وردينا من لفظ النبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال:" أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنّى لي اللّحن؟".

لقد بدأ الانحراف عن اللغة الفصحى في كلّ مستوياتها، فكانت هذه الانحرافات سببًا رئيسيًا في وضع كثير من علوم العربية، وقد أشار ابن خلدون في مقدّمته إلى هذه الانحرافات التي شملت كلّ جوانب اللغة، وممّا قاله حديثه عن التساهل في التقيّد بعلامات الإعراب، ويمثّل هذا الانحراف صورة من صور العامية، وخطوة من خطواتها تجاه تأصّلها استعدادًا لمنافسة الفصحى والتغلّب عليها، وقد تنبّه علماؤنا لما سيحلّ بالعربية فقاموا بوضع النحو لوقف تلك الانحرافات التي ظهرت على الألسنة وقتها، ولفهم النّص القرآني. كما ظهر الانحراف في استخدام الألفاظ والصيغ في غير ما وضعت له، ما أدّى إلى انغلاق المعنى وسوء فهم كثير من النصوص.

لقد أدرك العرب خطورة الانحراف الذي تقوم به العامية لترسيخ نفسها كلغة بديلة عن الفصحى، فوضعوا المعاجم اللّغوية التي حصرت ألفاظ العربية كاملة وحافظت عليها من التغيّر والاندثار، كما وضعت الكتب والمعاجم التعليمية والمعيارية التي تراقب استعمال اللّغة وتشير إلى الأخطاء التي يقع فيها مستخدمو اللّغة، ككتاب "لحن العامّة" للكسائي و "إصلاح المنطق" لابن السكيت و"لحن العوام" للزبيدي..

استمرّت العامية بزحفها، حتّى نالت جانب التراكيب اللّغوية الفصيحة، وهذا الانحراف ربّما كان نهاية المطاف بالنّسبة للغة الفصحى، لأنّ الانحراف في التراكيب اللّغوية والأساليب الكتابية يعني بداية ظهور لغة جديدة[15].

[15]. ينظر: إبراهيم كايد محمود، المرجع السابق، ص 64/ 67.

المحاضرة الحادية عشرة:

الثنائيـة اللّغــوية

1. أزمة الخلط بين الازدواجية والثنائية:

رغم ما يظهر لنا للوهلة الأولى من تشابه بين المصطلحين ***bilingualism*** /***diglossia*** إذ يدلاّن على معنى واحد، وهو: لغتان، فإنّ الحقيقة أنّهما لا يتطابقان، بل إنّ لكلّ منهما معنى مخالف لما يحمله الآخر، " وجملة الأمر أن العلاقة الدلالية بين هذين المصطلحين مضطربة، فتارة تترادف، وتارة تتخالف، وقد أشار إبراهيم كايد محمود إلى الاضطراب في استعمالهما في البحوث العربية، فنجد تارة مصطلح (DIAGLOSSIE) يعطي المقابل العربي الازدواجية، وتارة الثنائية، وكذلك الحال بالنسبة لمصطلح (BILINGIUSME) يعطي تارة المقابل العربي الازدواجية، وتارة الثنائية بالمفهومين الفرنسي والانجليزي"[1]. وهكذا سيتبادل المصطلحان المفاهيم والمواقع بين الباحثين العرب كما الغرب، وهو ما يؤكّد عدم دقّة الفهم والاستعمال.

ويقف نهاد الموسى على هذه المسألة، ذاهبًا إلى أنّ الازدواجية اللغوية مقابل عربي لـ ***diglossia*** في حين تكون الثنائية هي المقابل العربي لـ ***bilingualism*** ، يقول: "وعلى الرغم من هذا فإنّنا نؤثر اتّخاذ "الازدواجية" في الدلالة على هذا المفهوم من تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين لغويين في إطار العربية نفسها، وذلك أنّ الذين اختاروا الازدواجية في إفادة هذا المطلب أكثر، والغلبة من مستلزمات المصطلح، ثمّ إنّ الازدواجية مادّتها "الزوج" وقد استقرّت هذه المادّة في العربية بدلالة جلية على الاقتران والمشاكلة، شأن العربية ولهجاتها، أو الفصحى والعامية، وهذه المادة في الطبيعة تشي بتوحّد العرق والسلالة... أمّا الثنائية فإنّ أسّ دلالتها مطلق العدد حتى تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر، والنور والظلام، والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المتباينة، وهكذا تكون الازدواجية عندنا – مقابلا عربيًا لـ ***diglossia***، على حين تكون الثنائية– عندنا هي المقابل العربي لـ ***bilingualism***"[2].

---

[1] عمر بوقمرة: التعدد اللغوي قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر، مجلة الصوتيات، مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2، الجزائر، ع19، ص104.

[2]. نهاد الموسى: الازدواجية في اللغة العربية، ما كان، وما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، عمّان، ندوة الازدواجية في اللغة =

2. مصطلح الثنائية اللّغوية: *bilingualism /Le bilinguisme*

يتكوّن هذا المصطلح من[3]:

السابقة اللاتينية *bi* و معناها مثنى أو مضاعف.

و *lingual* لغوي.

اللاحقة *ism* الدّالة على السلوك المميّز أو الحالة أو الصفة.

حاصل الترجمة: سلوك لغوي مثنى أو مضاعف.

3. تعريف الثنائية اللغوية:

بالعودة إلى المعاجم اللّسانية نجد جملة التعاريف الآتية[4]:

1- ماروزو *Marouzeau*: الثنائية اللّغوية هي الوضع اللّغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معيّنة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميّزة في لغة أكثر ممّا هي.

2- جون ديبوا *J. Dubois*: الحالة اللّغوية التي يستخدم فيها المتكلّمون بالتناوب، وحسب البيئة والظروف اللّغوية، لغتين مختلفتين.

3- ديكرو وتودوروف *O. Ducrot et T. Todorov*: نقول إنّ الفرد ثنائي اللّغة حين يمتلك عدّة لغات تكون مكتسبة كلّها كلغات أم.

4- جورج مونان *G.Mounin*: كون الفرد قادرًا على تكلّم لغتين. تعايش لغتين في مجتمع واحد شرط أن تكون أكثرية المتكلّمين ثنائية اللّغة فعلاً.

5- بوتيي *B.Pottier*: استعمال شخص أو مجموعة أشخاص لغتين أو أكثر (لغة ثقافة، ولهجة) في شكلهما المحكي بخاصّة (والمكتوب ثانيًا).

6- غاليسون وكوست *R. Gallison et D. Coste*: الحالة اللّغوية التي تعنى بها المجتمعات اللّغوية والأفراد الذين يسكنون مناطق أو بلدانًا تستعمل فيها لغتان على نحو متقن.

العربية، مطبعة الجامعة الأردنية، 1988/ نقلاً عن: . إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية..، ص 60/59.

[3]. إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية، جامعة الملك فيصل، السعودية، المجلد 3، العدد 1، مارس 2002، ص 55.

[4]. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، ط1، 1993، ص 36/35.

ونجد أيضًا عند بعض اللّسانيين التعريفات التالية:

7- بلومفيلد *L. Bloomfield* : استعمال لغتين على نحو مماثل لاستعمال أبناء كلّ لغة من اللّغتين.

8- هوجن *Haugen*: القدرة في اللّغة الأخرى على إنتاج كلام حسن التركيب وذي دلالة.

9- ما كيه *W.F.Mackey*: التناوب في استعمال لغتين أو أكثر.

10- ليبرسون *Lieberson*: عملية تلاؤم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلّمون لغة أخرى.

ويذهب ***ميشال زكريا*** من خلال هذه التعريفات إلى استنتاج مايلي[5]:

- تؤكّد هذه التعريفات على ضرورة وجود لغتين تتعايشان لكي يكون هناك ثنائية لغوية، إلاّ أنّها تتفاوت فيما بينها من حيث إنّها تتعامل مع الثنائية اللّغوية إمّا على مستوى الملكة اللّغوية في اللّغتين، وإمّا على مستوى استعمال اللّغتين.

- تحدّد التعريفات 1-3-8 ثنائي اللّغة من حيث إنّه يمتلك ملكة لغوية في اللّغتين، في حين أنّ بقية التعريفات تشير إلى أنّ الفرد يكون ثنائي اللّغة حين يكون بمقدوره استعمال لغتين في سياق التواصل.

- إنّ الثنائية اللّغوية هي استخدام لغتين بالتناوب، وعليه ستكون هناك ثنائية لغوية قائمة حيثما يستعمل الأفراد عادة لغتين مختلفتين بسهولة.

- الثنائية في ظاهرها العام هي اعتماد البلاد على لغتين أو أكثر في التعليم وبالتالي في الاستعمال اليومي في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية.

إضافة للتعريفات السابقة، يعرّف لويس جون كالفي الثنائية اللّغوية بقوله: "هي قدرة الفرد على استخدام لغتين، وهي مما يدخل في باب اللّسانيات النفسية"[6]. وهو ما يعني أنّها مجال مشترك بين العلمين؛ اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية.

وبالعودة للتراث اللغوي العربي، نجد أنّ لابن خلدون رأيًا فيها حيث يقول: "البعد عن اللسان الأصلي، إنما هو بمخالطة العجمة، فمن خالط العجمة، أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي

---

[5]. **ينظر: المرجع السابق، ص 37.**

[6]. **لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008.**

أبعد، لأن الملكة إنّما تحصل بالتعليم، كما قلناه، وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب، و من الملكة الثانية التي للعجم، فعلى مقدار ما يسمعون من العجم، ويربون عليه يبتعدون عن الملكة الأولى".

وهو ما يعني أنّ الثنائية اللغوية، "..لها جذور ضاربة في التاريخ؛ حيث ظهرت عند العرب القدامى، فبعملية حسابية بسيطة يمكننا تحديد زمن اختلاط العرب بغيرهم، والذي حدده المؤرخون بظهور الإسلام واضطرار العرب للتوسع في أراضيهم، ونشر الإسلام في بقاع العالم، لكن كلّ ما في الأمر أنّهم كانوا يسمّونها "مخالطة العجمة"، واليوم أطلقوا عليها اسم "الثنائية اللّغوية"[7].

4. أنواع الثنائية اللغوية:

يمكننا استنادًا لتصوّر ***ميشال زكريا***، التمييز من الناحية الوظيفية بين عدّة أنواع من الثنائية اللّغوية وهي[8]:

1.4. الثنائية اللّغوية على صعيد الوطن:

في هذه الحالة تنجز الدولة أعمالها بأكثر من لغة وتكون مؤسسات الدّولة ثنائية اللّغة بقدر ما تؤمّن خدماتها بالذات بأكثر من لغة واحدة. وتتفاوت مظاهر الثنائية اللّغوية على صعيد الدّولة بين اعتراف الدّولة بحقوق الأقليات اللّغوية في مجال الثقافة والتعليم، ولكن من دون أن تساوي بينها وبين الأكثرية (كما هو حال العربية في إسرائيل، واللّغة الألمانية في الدانمارك، وبعض اللّغات القطرية في الهند والاتّحاد السوفياتي سابقًا، وأيضًا بعض لغات الأقليات في بلاد البلقان وأوروبا الوسطى) وبين اعتراف الدولة بلغتين رسميتين متساويتين (كما هو الحال في بلدان عديدة مثل سويسرا ويوغسلافيا وفنلندا وتشيكوسلوفاكيا وكندا وبلجيكا وغيرها).

2.4. الثنائية اللّغوية الإقليمية أو المحليّة:

تكون لغة أخرى غير اللّغة القومية، رسمية أو محكية، وليس على صعيد الدولة، إنّما فقط على امتداد منطقة جغرافية محدّدة، كما هو الحال بالنسبة للهجة الألمانية في الألزاس وفي شرق اللورين.

3.4. الثنائية اللّغوية الخاصّة بالأقليات العرقية:

---

7. عمر ديدوح: الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية، مجلة المعرفة، 16. 11. 2009، almarefh.net.

8. ينظر: ميشال زكريا، المرجع السابق، ص 38/ 39.

هذه الثنائية اللّغوية قائمة عند الأقليات العرقية في بلدان تهدف سياستها اللّغوية إلى استيعاب الأقليات العرقية في الثقافة القومية، كما هو الحال في غالبية بلدان أمريكا اللاتينية. والجدير بالذكر هنا، أنّ هذه الأقليات وإن تكن تتكلّم اللّغة القومية فهي تستمر في أغلب الأحيان في استخدام لغتها في البيت وفي إطار تجمّعاتها.

4.4. الثنائية اللّغوية المؤسسية:

تعتمد لغة معيّنة كوسيلة لبعض النشاطات بحيث يكون بإمكانها أن تصبح لغة مشتركة للتجارة أو للتعليم أو للإدارة أو للممارسة الدينية.

وتشكل حاليًا اللّغات الإنكليزية والروسية والفرنسية التي تُدرّس كلغة ثانية على نحو واسع جدًّا في العالم لغةً حرّةً للتعليم العلمي والتقني وللتجارة وللقانون في بلدان مختلفة.

5.4. الثنائية اللّغوية المدرسية أو التربوية:

هذه الثنائية اللّغوية تتنوّع من الناحية العملية من تدريس لغة ثانية إلى تعليم المواد المدرسية باللّغة الثانية وإلى استيعاب ثقافة اللّغة الثانية وقيمها. وترتبط الثنائية اللّغوية المدرسية عمومًا، بالبرنامج التربوي الرسمي الذي يتمّ وضعه بموجب سياسة الدّولة التربوية التي تسعى مبدئيًا، عبر هذا البرنامج وبواسطة التعليم، إلى تعميم استخدام اللّغة الثانية إضافة إلى اللّغة القومية.

6.4. الثنائية اللّغوية المؤسسية المؤقتة:

تكون لغة المستعمر القديم لغة رسمية. وقد اعتمدت هذه الثنائية اللّغوية بالتأكيد كصيغة انتقالية نحو إقرار اللّغة القومية لغة رسمية وحيدة، كما هو الحال مثلاً، بالنسبة للثنائية اللّغوية في بلدان مثل اللاوس كمبوديا والفيليبين والباكستان وغيرها.

أخيرًا.. فإنّه وبخلاف الازدواجية اللغوية التي يرى الباحثون ارتباطها بالمجتمع، ما يجعلها تشكّل موضوعًا للسانيات الاجتماعية، فإنّ الثنائية اللّغوية ظاهرة عامة وترتبط بالفرد أيضًا، وعليه تعدّ موضوعًا للسانيات النفسية والاجتماعية معًا، وقد ينجم عنها مشكلات عديدة في مختلف بلدان العالم؛ حيث تتعايش لغتان أو أكثر وتتكلّمها مجموعات من السّكان.

المحاضرة الثانية عشرة:

التعدّد اللّغـــــوي

1. اللغة بين الأحادية والتعدّدية:

لاشكّ أنّ الأصل في الإنسان أن يكون أحادي اللغة، وهو ما يطلق عليه باللغة الأم التي يكتسبها الطفل مع بداية ممارسته للكلام، والتي تتطوّر مع الاستماع والاستعمال حتّى تغدو ملكة لغوية راسخة فيه. من هنا سيكتفي الفرد بلغته ما دامت تحقّق له حاجياته التواصلية والاجتماعية المختلفة، مرتكزًا على مبدأ الاقتصاد اللغوي، ومجانبًا لمبدأ التعدّد لأنّه على حدّ تعبير "فالتر ثاولي":"وضع لغوي غير اقتصادي ولا وظيفي". إنّها مكوّن من مكوّنات هويته، لها يتعصّب، وبها يحقّق تفرّده وتميّزه عن بقية المجموعات اللغوية [1].

بناء عليه، سنقول إنّ اللغة تعرف وضعين أساسيين:

- وضع أحادي؛ يسفر عن استعمال لغة واحدة.
- وضع متعدّد؛ يسفر عن استعمال أكثر من لغة.

و يمكن القول بداية إنّ الوضع الأحادي رغم كونه الأصل، فإنّ الوضع المتعدّد هو الأكثر انتشارًا في المجتمعات المتنوّعة، ذلك أنّ المجتمعات الأحادية تظلّ محصورة من حيث العدد ومعزولة نسبيًا، وتتميّز بسمة المصالح المشتركة بين أعضائها؛ حيث يغلب عليها الطابع الجماعي في الممارسات ما يجعلها تبدو كأنّها مجتمعات مؤتلفة ومتناسقة[2]. هذه المجتمعات، بحسب ***جولييت غارمادي***، "يقول البعض عنها إنّها بسيطة، ويصفها البعض الآخر بأنها بدائية، وعندئذ يغدو من الممكن التسليم نظريًا بأنّ الحاجة إلى تلوّنات/ تنوّعات لسانية متمايزة بكلّ وضوح، تظلّ فيها حاجة محدودة، وإنّ التباين ضمن اللسان الواحد ما هو إلاّ محدود الامتداد والسعة في هذا النوع من المجتمعات التي كانت موضوع توقع في الدراسات الأثنولسانية الأولى. مع ذلك فإنّ ***فيشمان*** يلفتنا إلى أنّه عندما يتعلّق الأمر بالاتصال والإبلاغ فإنّه لا يوجد مجتمع متجانس باستثناء ما هو قائم في العالم التبسيطي عند

---

[1]. ينظر: عمر بوقرة: التعدد اللغوي قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر، مجلة الصوتيات، مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2، الجزائر، ع19، ص 101.

[2]. ينظر: جولييت غرمادي، اللسانة الاجتماعية، دار الطلبة للطباعة..، عربه: خليل أحمد خليل، بيروت، ط1، ص51.

بعض المنظرين والباحثين، وذلك أنّ المجتمع الموسوم بالبساطة، والمفترض أنّه متجانس يمكنه أن يشهد بداخله تمايز لونيين لسانيين أو أكثر"[3].

تشكّل دراسة التنوّع/ التوحّد اللغويين أهم المواضيع التي تعالجها اللسانيات الاجتماعية، إذ تعدّها من القضايا المحورية؛ لأنّها تراقب الألسن وحركتها، معتبرة هذه الظواهر نتيجة للتحوّلات الاجتماعية التي تنعكس على اللغة في صورة تغيرات تمسّ الألسن عبر الزمن. ومن هنا، تسعى اللسانيات الاجتماعية إلى مراقبة هذا التوحّد/ التنوّع، وتعلّل أسباب حدوثه، وطرائق سيره، وأماكن وجوده في العالم، معلنة إيجابياته وسلبياته، وانعكاساته على الواقع اللغوي لبلد ما، وعلى جماعة معيّنة[4].

2. تعريف التعدّد اللّغوي: *Plurilinguisme /Multilingualism*

يمكن لمصطلح "تعدد لغوي" *Multilingualism* أن يحيل سواء على:

- استعمال اللغة
- قدرة الفرد
- الوضعية اللغوية في أمة كاملة أو لمجتمع.

مع ذلك فإنّ التعدّد اللّغوي على المستوى الفردي غالبًا ما يصنّف بشكل عام تحت "الثنائية اللغوية". أمّا على المستوى المجتمعي أو الوطني فيجب التمييز بين التعدد اللغوي "الرسمي" (*Official*) و"التعدد القائم بحكم الواقع" (*De facto*) [5].

مثال ذلك[6]:

- سويسرا: دولة متعدّدة اللغة رسميًا، لأنّ ذلك أمر مصرّح به، وكل الوثائق الحكومية لكلّ الدولة بالفرنسية والجرمانية والإيطالية، مع ذلك هناك تعدّدية مبنية على مبدأ الإقليمية، ومعظم الناس ينشأون أحاديي اللغة في الأقاليم أو المقاطعات التي تتوفّر نموذجيًا على لغة رسمية واحدة.

---

3. المرجع السابق، ص52، (بتصرف).
4. ينظر: حسن كراز، اللسانيات الاجتماعية، دار الرافدين، بيروت، ط1، 2018، ص 44/43.
5. ينظر: مايكل كلين، التعدد اللغوي، ضمن دليل السوسيو لسانيات، تحرير فلوريان كولماس، ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009، ص656/649.
6. المرجع نفسه، ص650.

– كندا هي دولة متعددة اللّغات، تتوزّع فيها نسب المتكلمين بهذه اللّغات على النحو التالي: 25% يتكلمون الفرنسية و 63 % يتكلمون الانكليزية و 11.7 % يتكلمون لغات أخرى، ولكن معظم الكنديين ليسوا ثنائيي اللّغة

خلاصة القول، إنّ التعريف الشائع للتعدد اللغوي هو: "استعمال أكثر من لغة واحدة" أو "قدرة بأكثر من لغة". ولا تعدّ الدول المتعددة اللغات استثناءً بين الدّول، بل هي غالبًا الحالة الطبيعية للكثير منها. ويجدر بنا هنا أن نذكر أنّ الدولة المتعددة اللغات هي دولة يتكلم فيها على الأقل لغتين، و إنّ القول بأنّ هذه الدولة أو تلك هي دولة متعددة اللغات لا يعني بأنّ مواطنيها هم أيضًا كذلك.

3. أنواع التعدّد اللغوي:

تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التفريق بين ثلاثة أنواع من التعدّد اللّغوي نلخّصها في:

أ. *التعدد اللغوي الشخصي*:

ويحدث عندما يكون هناك شخص ما يتكلم لغتين أو أكثر.

ب. *التعدّد اللغوي المجتمعي*:

عندما يكون هناك مجموعة من أفراد مجتمع ما يتكلمون أكثر من لغة.

ج. *التّعدد اللّغوي الحكومي*:

عندما تكون للدولة أكثر من لغة رسمية دون أن يكون الشعب كذلك.

هذا ويحصي ***لويس جان كالفي*** التعدّد اللغوي في الأنواع الآتية:

1. تعددية لغوية ذات لغة وحيدة غالبة :

وتتمثّل في وجود عدد من اللغات في رقعة جغرافية ما، تكون واحدة منها لغة غالبة إلى حد كبير، وليس عنها بديل، مثلا : الفرنسية في فرنسا، إذ لا يوجد على التراب الفرنسي الآن لغة يمكن أن تحل محلّها رغم وجود ثلاثين من لغات الأقليات التي تظهر هنا أو هناك على شكل ازدواجية كورسيكا وكانولونيا والألزاس..، أو على شكل لغة المهاجرين كالعربية والبولونية والإرمينية. وتواجه هذه اللغات لغة غالبة هي لغة الدولة التي يتكلم بها الأكثرية من السكان[7].

2. تعددية لغوية ذات لغة واحدة أقلية:

---

7. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص397، (بتصرف).

وتكون فيها اللغة الغالبة إحصائيًا لغة مغلوبة سياسيًا وثقافيًا، لأنّها ليست ممثلة في بنية الدولة. ومثال هذه التعددية: وضع لغة (الوُلف) في السينغال؛ حيث هي لغة غالبة من وجهة النظر الإحصائية، ولكنها مغلوبة من وجهة النظر السياسية الثقافية، لأنها ليست مستخدمة في دوائر الدولة والشيء ذاته بالنسبة إلى لغة (البامبارا) في مالي. كما تتوفر في بعض الدول العربية وخاصة دول المغرب العربي؛ حيث نجد اللغات المهيمنة من ناحية العدد (الدارجة العربية والأمازيغية) ليست مسيطرة وغالبة سياسيا وثقافيا[8].

3. تعددية ذات لغات غالبة بديلة:

ويمكن فيها للغة الغالبة إحصائيا، المغلوبة ثقافيا وسياسيا أن تحل محل اللغة الغالبة وتأخذ وظائفها السياسية لتصبح لغة الدولة، ونجد مثل هذه الوضعية في المستعمرات القديمة؛ حيث تكون اللغة الأم/ المزيج/ الهجينة/ الكريول هي المهيمنة من ناحية العدد، إلى جانب لغات أخرى مثل الفرنسية وبعض اللغات الهندية. ورغم أنّ الفرنسية هي اللغة الرسمية المهيمنة سوسيو- اقتصاديًا فإنّها تعتبر لغة أقلية ضعيفة جدًا، ولهذا تستطيع هذه اللغة المزيج أن تحلّ محلّ الفرنسية لغة رسمية[9].

4.تعددية لغوية ذات لغات غالبة إقليمية:

وهي الوضعية التي تتعايش فيها لغات رسمية متعددة في داخل الدولة الواحدة، ويكون لكل لغة منها رقعة تكون فيها لغة غالبة. أفضل مثال عن هذا الوضع: سويسرا التي جعلت الفرنسية والألمانية والإيطالية لغات رسمية فيها. وبلجيكا التي تتصارع فيها الفرنسية مع الفلمنكية أو مع الألمانية[10].

4. أشكال التعدّد اللغوي:

يمكن التمييز بين شكلين من التعدد اللغوي:

1.4. *تعدد لغوي متماثل*: *Symmetrical Multilingualism*

وكل اللغات فيه لها وضع متساو، مثال ذلك: سويسرا، كل اللغات ***الوطنية*** فيها؛ الفرنسية والجرمانية والإيطالية، متساوية رغم الاختلافات الجوهرية في عدد المستعملين؛ حيث:

---

8. ينظر: المرجع السابق، ص398.
9. ينظر: المرجع نفسه، ص398.
10. ينظر: المرجع نفسه، ص399.

يتحدث الجرمانية 73,5 ٪ من المواطنين باعتبارها لغتهم الأولى.

يتحدث الفرنسية 20,1 ٪

يتحدث الإيطالية 4,5 ٪

و 0,9 ٪ من المواطنين لديهم اللغة الرسمية الجهوية الرومانشية.

هذه اللغات موزعة على مبدأ الإقليمية، أي أنّ كلّ الأقاليم (كنتونات/ *Cantons*) لها لغة جرمانية أو فرنسية أو إيطالية، أكثر منها ثنائية[11].

2.4. *تعدّد لغوي لا متماثل*: *Asymmetrical Multilingualism*

وتكون فيه لغة واحدة من اللغات على الأقل لها أكثر من وضع اللغات الأخرى.

مثال: سنغافورة؛ حيث تعتبر المالايية هي اللغة الوطنية، لكن وظائفها الخاصة محدودة في الترانيم الدينية الوطنية وفي الشعار الوطني. إذ تتوفر سنغافورة على أربع لغات رسمية، يمكن اعتبار المندرينية والمالايية والتاميلية على أنّها تمثل المجموعات الإثنية الكبرى الثلاثة (الصينيين/ الملايين/ الهنود)، واللغة الرسمية الأخرى هي الإنجليزية، لغة اتصال ثنائي، إثني ودولي. هذا الاختيار اللغوي مقام على أساس الوضع (*Status*) ، إذ يستعمل أغلبية صينيي سنغافورة لهجة أخرى غير المندرينية في المنزل، وعدد لابأس به من هنود سنغافورة ليسوا متكلمين أصليين للتاميلية. وهكذا، فباختيارها للانجليزية كلغة رسمية، فقد توفرت سنغافورة على أداة للتواصل التجاري مع باقي الدول[12].

5. نتائج التعدّد اللغوي:

يمكن تلخيص أهم نتائج التعدّد اللغوي في النقاط الآتية:

1.5. *على الصعيد الاجتماعي:*

- التسبب في خلق نزاعات وطنية خاصة أو جهوية.
- خلق توتر دائم بين قوى الأحادية اللغوية والتعدد اللغوي[13].

2.5. *على الصعيد اللغوي:*

---

11. مايكل كلين: التعدد اللغوي، ضمن دليل السوسيو لسانيات، ص 661.

12. ينظر: المرجع نفسه، ص661/662.

13. ينظر: المرجع نفسه، ص 655.

حيث تتأثّر اللغات ببعضها، فتتغيّر وتتداخل، ويشمل هذا التأثير كل مستويات اللغة:

- على المستوى الصوتي.
- على المستوى النحوي.
- على المستوى المعجمي.
- على مستوى التداول (استعمال اللغة في التواصل).
- على مستوى الخطاب (مستوى ما بعد الجملة).

ويظهر ذلك جليًا من خلال حالات التداخل اللغوي المسجّلة أثناء الكلام؛ حيث يتم اقتراض الكلمات بين اللغات، والتحوّل من قاعدة نحوية إلى أخرى تابعة للغة أخرى، واعتماد أكثر من لغة داخل الجملة الواحدة أو بين الجمل على امتداد الخطاب[14].

6. التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي:

تمنح السياسة اللغوية للدولة وضعًا خاصًا للغة على حساب اللغات الأخرى في الدولة ذاتها، "إذ يمكن للسياسات اللغوية و/ أو مواقف الجماعات أن تقوي وتدعم وتقبل وتسمح أو ترفض التعدد اللغوي أو أن تمنح وضعًا خاصًا للغة واحدة أو أكثر. وحيثما تصاغ السياسات اللغوية لإعلاء التعدد اللغوي، فإنّ الحافز قد يكون:

- اجتماعيًا، لفائدة المساواة لكلّ المجموعات.
- ثقافيًا، لتسهيل المحافظة الثقافية.
- سياسيًا، لضمان مشاركة المجموعات و/ أو دعمها الانتخابي.
- اقتصاديًا، للتمكّن من ربط أصول اللغة بأفضلية ميزان الأداءات للدولة"[15].

ويظهر ذلك جليًا من خلال عدد من التجارب اللغوية عالميًا، ومنها: تجربة ناميبيا الجديدة التي تمنح وضعًا رسميًا للإنجليزية، وتجربة سنغافورة، وأستراليا وكندا وسويسرا..، بل يمكننا الحديث أيضًا عن تجربة الجزائر والمغرب مع اللغة الأمازيغية.

7. الهند مثال للتّعدد اللّغوي:

---

[14]. ينظر: المرجع السابق، ص 672/ 676.

[15]. المرجع نفسه، ص656/ 657.

إنّه لمن الصعب على كلّ شخص تربى في مجتمع تجمعه لغة واحدة أن يستوعب ترسخ التعدد اللّغوي في الحياة بالهند. فبعد استقلال الهند عام 1947 تم الاعتراف في دستور البلاد بستَ عشرة لغة رسمية. في غضون ذلك بلغ عدد اللّغات الرسمية المعترف بها حاليًا اثنتان وعشرون لغة. وتتبوأ الهندية مركز اللّغة الوطنية الرسمية، في حين تعتبر الإنجليزية لغة رسمية ثانية. وإضافة إلى التعدد اللّغوي هناك أيضا تنوع قوي في أنظمة الكتابة بالهند. وإذا كان الفرق بين اللّغة واللهجة وتعريفهما يثير نقاشات علمية عديدة، فإن اعتراف الدستور رسميًا بإحدى اللّغات يخضع في الهند للمعادلات السياسية القائمة. وقد أحصى الرصد الانثروبولجي للهند خمسة وعشرين نظامًا للكتابة وثلاثمائة وخمسًا وعشرين لغة في الهند. وتتوفر جميع هذه اللّغات على فرصة الحصول على اعتراف رسمي بها من الدولة. ولعل أبرز ما يسترعي الاهتمام في الإحصاءات التي أوردها الرصد الانثروبولوجي هو تأكيده على أنّ ما نسبته 65% من المجموعات السكانية في الهند تتحدث بلغتين أو حتى ثلاث لغات. وهذا مؤشر واضح على أن التعدّد اللّغوي في الهند ليس ظاهرة معزولة وإنّما هو أمر طبيعي[16].

وعموما، فإن أكثر اللغات شيوعا في الهند بحسب تعداد 2011 هي:

الهندية ويتحدث بها 528 مليون شخص (46.63 بالمئة من السكان).

البنغالية 97 مليونا (8.03 بالمئة).

الماراثي 83 مليونا (6.86 بالمئة).

تلغو 81 مليونا (6.70 بالمئة).

الغوجاراتية 55 مليونا (4.58 بالمئة).

الأوردية 50 مليونا (4.19 بالمئة).

المالايالامية 34 مليونا (2.88 بالمئة).

البنجابية 33 مليونا (2.71) بالمئة).

---

16. نقلاً عن: أنيل بهاتي، التعدد اللغوي والتنوع الثقافي.. أوروبا والهند كمثالين، ترجمة: عادل القدسي، معهد غوته ومجلة فكر وفن، يونيو 2009، http://www.goethe.de.

ولمزيد من التفاصيل ينظر: ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص 17/ 20.

و لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسة اللغوية، ص 239/ 245.